الآداب بعد ربع قرن

كاظم السماوي

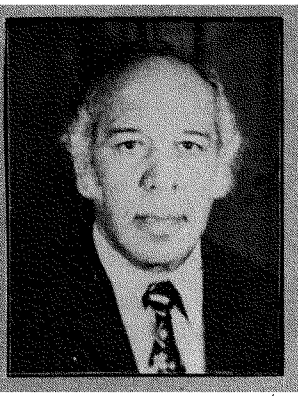

لم اتحدث عن تاريخ صحيفة ، او مجلة .. في عالمنا العربي .. الا وتكاد الجراح المندملة ان تنكأ من جديد : انها جزء من تاريخنا الفكري والسياسي بكل جراحه ، ومآسيه ، والتواآته وصراعاته وتحديه ..

اننا نعيش عصرا تكاد الكلمة فيه آن تصبح سكينا ... او طلقة ، او لا تكون : لهذا يقف .. او لا بد ان يقف هذا المطبوع .. مجلة، جريدة، او كتابا .. في هذا الصف .. او ذاك : ولم يبق للتأرجح ـ كرقاص الساعة ـ في الموقف من مكان تدى اهل اليمين آو اليسار ..

ربما من اجل هذا ما يزال اللهاث بين الحاكمين والمحكومين ، الجماهير والسلطات ان تمتلك الكلمة !.. تشترى !.. وهكذا ما يزال السوق حافلا بالمنظرين والسماسرة والمروجين .. والجماهير تدري ... وهي تضع يدها على الكلمة .. وتعرف الى اين ؟.. ومن اين ؟ فلم تعد المساحيق المذرورة بين الحروف .. وفوقها او تحتها .. تخفي جلدة الكلمة ولحمها وعظمها ...!

لم تعد الكلمة لعبة في السيرك الصحفي .. او الفكري ..

انها شرارة في موقد .. ومضة في ظلام .. طابوقة في بناء .. وما عداها .. فانه الزيف ... والدجل .. والعفونة .

والصحافة في عالمنا العربي .. اما ان تكون خدرا، تمويها .. خداعا .. او ان لا تكون : وقد عرفنا مع من تقف ـ ولم تزل ـ الى هذا الجانب .. او ذاك ، ولم يعد ان تقف بين بين !!.

ولا بد لنا في هذا الخضم ان نهرع الى تقييم مجلة « الآداب » بعد ربع قرن من صدورها ، بعد المعاناة الدائبة العنيدة .. رغم العواصف .. والعقبات ، والازمات التي عرفتها عاما فعاما .. وكان لها اخيرا ان تحتفل وسط النار ، والرصاص ، والدماء .. والخرائب .. في (بيروت) المشتعلة .. المتشحة بالحزن ، والصمت ... والدموع ..

لسنا ندري كيف نشد على يد صديقنا الروائي الكبير الدكتور سهيل ادريس .. وهو يضم حلمه .. الذي اصبح تاريخا .. وواقعا .. وخندقا للفكر المعاصر .. عرفه الكثيرون وعرف الكثيرين .. اقلاما وشخصيات ، ومدارس ادبية ..

و« الآداب » كانت ولم تزل « نبراسا » للادب العربي المعاصر رغم الاعاصير ، والمتاعب ، والاستلابات .. وبالرغم من طوفان المجلات الرسمية .. والاعلامية وامكاناتها المتعددة الجوانب ، ولكنها لم تزل تنفرد بطابعها وديمومتها وكتابها وشعرائها الذين يسهمون بأصدارها .. لانها « آدابهم » كما هي « آداب » سهيل ادريس .. وكما هي « آداب » القارئين .. في المشرق والمغرب .. العربي على آختلاف مدارسهم الفكرية .

ربما .. كانت هناك بعض الاشارات الى بعض المواقف السياسية التي اتخذتها المجلة .. عبر عمرها الطويل .. موقفا منحازا رغم مواقعها الفكرية الانسانية الراسخة ولكنه كان انحيازا غير مدروس .. سرعان ما تخلت عنه .. وعادت الى مواقعها الاصيلة .. والى تقاليدها الطليعية ..

هناك ابطال مجهولون في تاريخنا الفكري المعاصر ـ كما هو الامر ـ في تاريخنا الحضاري الغابر .. اولئك الذين حملوا وحدهم شعلة الفكر .. سنوات طوالا ، دونما تكريم او تعضيد .. من المؤسسات الرسمية التي تقف بكل امكاناتها المادية .. وكوادرها ومطابعها .. فلا تبلغ .. ما بلغته الجهود والقدرات التي بذلها ورسخها هؤلاء الابطال الرواد في مؤسساتهم الفكرية .. والادبية ، وما قدموه من زاد فكري ، وما حملوه ـ حتى ولو كان شمعة .. في الظلام ..

انني لا اوجه نداءا هنا ، لانني اعلم ـ علم اليقين ـ ان الجميع مصابون بداء الصمم او التصامم ولكنني لا اريد ان اقف في الساحة المقفرة .. وحدي .. اريد ان يقف معي اناسنا البسطاء .. فهم الاغنى .. وهم الاوفى .. ليشدوا على يد الرجل الرائد ـ سهيل ادريس ـ وعمرا مزدهرا « لآدابنا » الراسخة في مواقعها في المشرق العربي .. وغربه .. وصعودا بعد « ربع قرن » فكرا وعمرا .

بغداد